مجلة جامعة الملك سعود، م٢٠، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١)، ص ص ٦٩- ١١١ (٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ)

نظرات في الإعجاز القرآني والتحدي

عيسى بن ناصر الدريبي

الأستاذ المساعد في قسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين بالرياض، بجامعة الملك سعود،

وعضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١٤٢٧/٢/٢٢هـ، وقبل للنشر في ١٤٢٧/٨/١٩هـ)

ملخص البحث. هدف هذا البحث هو: تحديد مصطلح إعجاز القرآن، وما الوجه الحقيقي لإعجاز القرآن الذي تحدى الله به العرب. وقد تطرقت لهذا الموضوع من عدة عناصر ومقدمات، منها: تعريف المعجزة، وشروطها، ثم تحدثت عن نشوء فكرة الإعجاز وتطورها، وبينت باختصار تأثر وجوه الإعجاز بالاتجاه العقدي. ثم استعرضت أوجه الإعجاز عند السابقين والمعاصرين.

ثم خلصت الدراسة لوقفة تحليلية للأوجه التي يذكرها العلماء لإعجاز القرآن، وتوصلت إلى أن:

١- أن الوجه الإعجازي في القرآن هو الذي يتحقق في كل سورة، من سوره، وهو الذي به تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله، وهو الإعجاز البياني في نظم القرآن وأسلوبه وفصاحته وبلاغته ومعانيه.

٢- أن بقية الأوجه التي يذكرها العلماء السابقون والمعاصرون -غير هذا الوجه- ليست من أوجه إعجاز القرآن التي تحدى الله بها العرب الذين خوطبوا بالقرآن؛ لأنها تعتمد على إثبات وتقرير

أن هذا القرآن هو من عند الله، بدليل ذكر هذه الحقائق والمغيبات التي يعجز أن يأتي بها محمد صلى الله عليه وسلم.

مقدمـــــــــــة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده حجة وبرهاناً، ونوراً وهدى، المعجزة الخالدة، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذا بحث مختصر عن مسألة وجه الاعجاز الذي تحدى الله به العرب.

وموضوعه حول أوجه إعجاز القرآن عرض ومناقشة، مع مقدمة مختصرة عن المعجزة وشروطها.

وأهمية ذلك نابعة من أن الدارس لأوجه إعجاز القرآن قديماً وحديثاً يلحظ كثرة الأقوال وتعددها، مع أن كثيراً منها لا يدخل عند التحقيق في وجه إعجاز القرآن المتحدى به.

فأردت من هذا البحث المختصر وقفة علمية لتحرير مفهوم وجه إعجاز القرآن، وتحديده مع دراسة نقدية سريعة للأوجه المتعددة التي يذكرها الباحثون في إعجاز القرآن وناقشت كل ما يتعلق بذلك من اشتراط العلماء لشرط التحدي في المعجزة، والفرق بين الإعجاز والتحدي.

مراعياً الاختصار في عرض أهم الأوجه كما ذكرها العلماء مرتباً ذلك تاريخياً، وهدفي من هذا البحث هو: تحديد وتحرير وجه إعجاز القرآن.

وسعيت فيه جهدي للخروج بنتيجة علمية في بيان ذلك.

وختاماً: فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان والله تعالى أعلم.

تعريف المعجزة

لغة: من أعجز وعجز، قال ابن فارس: العين، والجيم، والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء. [١ : جـ٤، ص٢٣٢- ٢٣٣].

وفي لسان العرب: العجز نقيض الحزم، والعجز: الضعف. [٩ : ص٥٧].

وفي المفردات: أن هذا اللفظ صار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة [٣: ص٥٤٧]، قال تعالى: ﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ ﴾ [سورة المائدة، الآية ٣١].

اصطلاحاً: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة يظهره الله على يد رسله [٤ : جـ١ ، ص٦٩] و[٥ : جـ٢ ، ص١٠٠١].

شروط المعجزة

ذكر بعض العلماء كالقرطبي أن شروط المعجزة خمسة [٤ : جـ١ ، ص٦٩- ٧١]، وزادها آخرون إلى سبعة.

وهي:

١- أن تكون أمراً خارقاً للعادة.

٢- أن تكون من صنع الله.

٣- أن تكون موافقة للدعوى.

٤- سلامتها من المعارضة.

٥- التحدي بها.

٦- أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على الله عز وجل.

٧- أن تكون مقارنة للدعوى غير متقدمة عليها [٦: ص١٢١-١٢٢] و[٧: ص١٥-١٧].

وأقف هنا مع شرط يؤكد ما سأشير إليه لاحقاً -إن شاء الله- وهو شرط: التحدي بها. فإن هذا الشرط يحصر إعجاز القرآن في أن يكون وجهه هو الذي تحدى الله به العرب.

وهو الإعجاز البياني في نظم القرآن وفصاحته وبلاغته.

وعلى هذا فما ذكره العلماء في تعداد أوجه إعجاز القرآن - من الوجوه الكثيرة حتى كادوا أن يدخلوا أغلب العلوم والفنون في إعجاز القرآن، ومن ذلك الإعجاز العلمي- لا يدخل في إعجاز القرآن، لهذا السبب فإن الله لم يتحد به العرب.

وسيأتي مزيد تفصيل لذلك عند حديثي عن أوجه إعجاز القرآن.

لكل نبي معجزة

قضت سنة الله أن يؤيد رسله بآيات ومعجزات دالة على صدقهم، تميزهم عن بني قومهم، شاهدة لهم على أنهم رسل الله.

وكان من حكمة الله في ذلك أن كانت معجزة كل نبي من جنس ما برع فيه قومه، ليكون أبلغ في الدلالة على صدقه، وأقوى في التحدي لهم أن يأتوا بمثل ما جاء به.

"وعلل أكثر العلماء ذلك بما نسميه نحن أثر البيئة ومقتضياتها، فقالوا: إن معجزة كل نبي كانت من جنس الفن الذي اشتهر في قومه إلى عهده، ولذلك كانت معجزة موسى من جنس السحر ومعجزة عيسى من جنس الطب، لأنهما الفنان الذائعان في عهديهما، وجاءت معجزة النبي -صلى الله عليه وسلم- من جنس الفن الذي اشتهر به العرب، وبلغوا به الذروة، وكانوا يتفاخرون به ويسامي بعضهم بعضاً وهو من البيان" [٨: ص١٣].

وقد ذكر بعض العلماء –كالسيوطي– أن أكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية، لبلادتهم وقلة بصيرتهم. وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم [٥: جـ٢، ص١٠٠١].

وحقيقةً إن هذا القول من الإمام السيوطي –رحمه الله– فيه تجاوز، وحكمٌ على أمة بأكملها بما لا دليل عليه، وهذا التعليل الذي ذكره في سرّ كون معجزات بني إسرائيل حسية ومعجزة هذه الأمة عقلية غير معقول، والتعليل السابق الذي ذكره أكثر العلماء – وهو أن معجزة كل نبي كانت من جنس ما برع فيه قومه– هو تعليل منطقي واضح. وهو الذي يتوافق مع قوله –صلى الله عليه وسلم–: (ما من الأنبياء نبيّ إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً)[١].

فهذا الحديث يشير إلى أن المعجزة التي تكون حجة للنبي على قومه –على مثلها يؤمن البشر– ولعل من قوة الحجة عليهم في هذه المعجزة أن تكون من جنس ما برعوا فيه، والله أعلم.

نشوء فكرة الإعجاز وتطورها

حينما نزل القرآن على محمد – صلى الله عليه وسلم– تلقاه أصحابه باهتمام بالغ حفظاً ودراسة وتدبراً، وشغفوا به، كيف لا وهم أهل العربية، وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين، بهر ببلاغته وفصاحته وأسلوبه كفار مكة، حتى إن بعضهم ليؤمن عندما يقرع سمعه آيات من هذا الذكر الحكيم[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: كيفية نزول الوحي وأول ما نزل (٣٣٦/٣) برقم ٤٩٨١.

(٢) في مثل قصة سماع جبير بن مطعم لآيات من سورة الطور من رسول الله في صلاة المغرب.

ولم يكن المسلمون في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– ومن بعده من الخلفاء الراشدين، - لا سيما عهدي أبي بكر وعمر - يطيلون النظر في مسائل الدين، ولا يثيرون المتشابه، بل كانوا يسلّمون بكل القضايا العقدية من غير استطراد في جدل.

ثم بعد انتشار المسلمين في الفتوح، واختلاط العرب بغيرهم من أصحاب الثقافات نشأ جو من النقاش والجدل والمحاورات في مسائل عقدية كان لها أثرها الواضح في بداية الحديث عن المسائل العقدية كخلق القرآن، ومسائل الأسماء والصفات، يقول الدكتور محمد محمد أبو موسى: "وبقيت هذه القدرة الناقدة والمغروسة في طباعهم تعينهم على تمييز طبقات الكلام، يحذقون بها نقده، ويحكمون بها عياره، وهم في غُنْية عن النظريات والأصول المدروسة التي يتأسس عليها نقد الكلام تماماً، كما كانوا في غُنْية بصحة طباعهم، وسلامة ألسنتهم عن المعرفة النحوية والصرفية؛ ولهذا لم يتكلموا في وجه الإعجاز، ولم يلتفتوا إليه؛ لأن برهانه قائم في نفوسهم، ومضى الأمر على ذلك حتى تبدلت أحوال العرب، ولانت جلودهم، ونجم في مجتمع المسلمين أهل التشكيك، وجاهروا بالزيغ، وكثر القول في القرآن وإعجازه، واندست مقالة أهل الضلالة، وذكروا أن القرآن خلق في بعض الأجسام فمنها ابتدأ لا من عند الله، وضلّ بذلك من ضلّ، وهلك من هلك" [٩: ص١٨-٢٠].

نشوء القول بالإعجاز

يختلف الباحثون في أسباب نشوء الحديث عن الإعجاز، ومن الذي أسس ذلك:

١- فيرى كثير من الباحثين [٨: ص٣٩-٤٠] و[١٠: ص١٩] و[٧: ص٤٠] أن للمعتزلة[٣] والمتكلمين أثراً رئيساً في ظهور دراسات متعددة عن إعجاز القرآن. وكان ذلك في القرن الثاني.

فكان أول من أثار هذه القضية هو: واصل بن عطاء[٤] المتوفى سنة ١٣١هـ شيخ المعتزلة في البصرة، حينما قال: إن إعجاز القرآن ليس بشيء ذاتي فيه، وإنما هو بصرف الله تفكيرات الناس عن معارضته، ثم تبنَّى هذا القول النظّام[٥] المتوفى سنة ٢٣١هـ.

٢- ويرى آخرون: أن مسألة الإعجاز مستمدة من تأثر العرب بكتابي الخطابة والسفر لأرسطو، وبما ترامى إليهم من أصول النظرية الأدبية عند الهنود المرتبطة بإعجاز الكتاب الديني عندهم [١٢: ص١٦٢].

٣- ويرى بعضهم: أن قضية الإعجاز والحديث عنهما إسلامية النشأة، يقول عبدالكريم مشهداني: "وكانت عقيدة المسلمين منذ نزول الوحي، فسمع الناس كلاماً لم يسمعوه من قبل، ثم استقر الأمر عقيدة راسخة تتوارثها الأجيال، فلما كان القرن الثالث بدأوا يدونونها ويحتجون لها كما فعل الجاحظ ومن جاء بعده" [١٣: ص١٥].

---

(٣) المعتزلة هم: أتباع واصل بن عطاء، سموا بهذا الاسم لاعتزالهم مجلس الحسن البصري -رحمه الله- لما أنكر عليهم البدعة، أصولهم خمسة هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: مقالات الإسلاميين ١/٣٣٧، والفرق بين الفرق ص٢٠-٢١، ومنهاج السنة ١/١٢٠.

(٤) هو: واصل بن عطاء الغزال البصري، رأس في المعتزلة، توفي سنة ١٣١هـ. انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٢٣٤-٢٤٣.

(٥) هو: إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي البصري، شيخ المعتزلة، توفي سنة ٢٣١هـ. انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٢٦٤.

ولكن الرأي الأول هو الأقرب، فإن لنشوء الخلافات العقدية والحديث عن مسائل مثل: كلام الله هل هو صفة ذات أو صفة فعل، والحديث عن مسألة خلق القرآن أثراً كبيراً في الحديث عن إعجاز القرآن، وهل كان ذلك باللفظ أم كان بالمعنى، وهو مرتبط بالخلاف السابق – والله أعلم–.

وسبب آخر مهم كان له أثره في نشوء فكرة الحديث عن الدفاع عن القرآن ألا وهو: ما أُثير حول القرآن وإعجازه من استفهامات من بعض أصحاب الثقافات الذين تظاهروا بالدخول في الإسلام، فطعنوا في كتاب الله، وجالوا بعقولهم بناء على خلفياتهم السابقة وبأسلوب فلسفي في بعض قضايا العقيدة مثل: نبوة النبي، ومسألة تحدي القرآن للعرب.

يقول ابن قتيبة[٦]: "فحرفوا الكلم عن مواضعه، وعدلوه عن سبيله، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم، والاختلاف، وأَدْلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيفَ الغُمْر والحدث الغِرّ، واعترضت بالشبهه في القلوب وقدحت بالشكوك في الصدور" [٤ : ص٢٢].

وقد تصدى علماء الإسلام من متكلمين ولغويين وغيرهم لهؤلاء فكتبوا في الدفاع عن القرآن من حيث بيان معانيه، ونظمه، وروعة أسلوبه.

وكتب أبو عبيدة[٧] المتوفى سنة ٢٠٤هـ كتابه "مجاز القرآن" جواباً لسؤال عن معنى آية: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [سورة الصافات، الآية ٦٥]، فأجاب عن

(٦) هو: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي، كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، صنف: إعراب القرآن، والمسائل والأجوبة. انظر: طبقات المفسرين (٢٥١/٢).

(٧) هو: معمر بن المثنى اللغوي البصري، مولاهم أبو عبيدة، أول من صنف "غريب الحديث"، من تصانيفه: غريب القرآن، مجاز القرآن. انظر: طبقات المفسرين (٣٢٦/٢).

السؤال وعزم على تأليف مجاز القرآن، وألّف الفراء[(٨)] "معاني القرآن"، وكتب ابن قتيبة كتابه "تأويل مشكل القرآن في الدفاع عن القرآن ضد الطاعنين عليه.

ثم توالت الدراسات والتأليف في بيان إعجاز القرآن في بداية القرن الثاني الهجرة وكان لقول واصل بن عطاء -شيخ المعتزلة في البصرة- أثر في بروز مصطلح إعجاز القرآن بقوله الذي ذكر فيه أن إعجاز القرآن ليس بشيء ذاتي فيه، وإنما هو بصرف الله تفكير الناس عن معارضته، وهو الذي تبناه فيما بعد النظّام.

ثم بدأ التأليف في إعجاز القرآن، كعلم مستقل، بياناً لأوجه إعجاز القرآن ويذكر بعض الباحثين [٨ : ص٨] و[١٠ : ص٢٠] و[٧ : ص٤٢] أن أول كتاب حمل اسم إعجاز القرآن هو كتاب: إعجاز القرآن لمحمد بن زيد الواسطي[(٩)] المتوفى سنة ٣٠٦هـ.

ويرى د. حاتم الضامن [١٥ : ص١٢٩] أن أول كتاب اشتمل عنوانه على كلمة الإعجاز، هو كتاب: إعجاز القرآن لمحمد بن عمر الباهلي البصري[(١٠)] المتوفى سنة ٣٠٠هـ.

ويقسم الباحثون الكاتبين في إعجاز القرآن عدة تقسيمات:

أحدها: بحسب عقيدة أو تخصص الكاتب، فالمتحدثون في إعجاز القرآن أصناف أربعة:

١- المعتزلة.

---

(٨) هو: يحي بن زياد بن عبدالله الديلمي، إمام العربية المعروف بالفراء. من تصانيفه: معاني القرآن، وغريب الحديث، توفي سنة ٢٠٧هـ. طبقات المفسرين (٢/٣٦٧).

(٩) هو: محمد بن يزيد الواسطي البغدادي المعتزلي، متكلم أخذ عن أبي علي الجبائي. طبقات المفسرين (٢/٢٧٥). ومعجم المؤلفين (١٠/٣١).

(١٠) هو: محمد بن عمر بن سعيد الباهلي البصري. من كبار المعتزلة. من تصانيفه: الأصول في التوحيد، وإعجاز القرآن. توفي سنة ٣٠٠هـ. طبقات المفسرين (٢/٢١٩).

٢- المتكلمون.

٣- المفسرون.

٤- الأدباء.

في حين أن هناك من يجمع بين أكثر من وصف، فيكون من المعتزلة وهو من الأدباء كالجاحظ[١١]، وهناك من يجمع بين الاعتزال وعلم الكلام والتفسير كالزمخشري.

وتقسيم آخر مقارب له، يرى أنهم ثلاث فئات هم[١٢]:

١- المتكلمون.

٢- المفسرون.

٣- الأدباء.

وهناك من تحدث عن المؤلفين في الإعجاز من حيث تقسيمهم إلى فئتين[١٣]:

١- المعتزلة.

٢- الأشاعرة[١٤].

---

(١١) هو: عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان البصري المعتزلي، الأديب اللغوي، من تصانيفه: الحيوان، والبيان والتبيان، توفي سنة ٢٥٥هـ، وقيل ٢٥٠هـ. انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٢٧٥، وسير أعلام النبلاء ١١/٥٢٦.

(١٢) ممن قال بذلك: محمد حنيف فقيهي في كتابه: نظرية إعجاز القرآن عند الجرجاني.

(١٣) وهذا هو المنهج الذي سلكه د. منير سلطان في كتابه: إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، فهو يقول: إن معظم الآثار التي دارت حول الإعجاز لمعتزلي أو لأشعري. ص٨.

(١٤) هم: أتباع مذهب أبي الحسن الأشعري قبل تحوله إلى معتقد أهل السنة. لا يثبتون من صفات الله تعالى إلا سبعاً هي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. ويؤولون البقية تأويلات عقلية. انظر: الملل والنحل ١/٩٧، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ١/٩٠-٩٥.

وهناك تقسيم آخر للمؤلفين في الإعجاز من حيث الكتب التي تناولت الإعجاز بالحديث وهي:

أ) كتب الدفاع عن القرآن ضد طعن الطاعنين. مثل: صنيع أبي عبيدة في "مجاز القرآن".

والكتب التي تحدثت عن القضايا التي ثار حولها الجدل، مثل: ما يتصل بالنبوة والمعجزة.

ب) كتب مستقلة ألفت في الإعجاز كمصطلح على هذا الفن.

ج) كتب البلاغة.

د) كتب التفسير.

هـ) كتب السيرة.

أثر المعتزلة والمتكلمين في نشوء نظرية الإعجاز

تتفق آراء كثير من الباحثين [١١ : ص٢٨] و[٨: ص٣٩-٤٠] و[١٠ : ص١٩] في إعجاز القرآن على أن للمتكلمين والمعتزلة أثراً في نشوء فكرة الحديث عن الإعجاز، فقد خضعت دراسة الإعجاز للتيارات العقدية التي ميزت تلك الفترة، فكانت هذه الدراسة تتأثر بالاتجاه العقدي الذي يدين به من يتصدى لدراسة إعجاز القرآن.

ولو أن الذين تناولوا دراسة هذه الناحية من القرآن مجمعون على أن القرآن معجزة وهو المعجزة الكبرى على صدق رسالة نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم- ، ولكن اختلاف وجهات النظر كانت منصبة على وجوه هذا الإعجاز.

سبب اهتمام المعتزلة بإعجاز القرآن

ذكر بعض رؤوسهم أن سبب ذلك هو اعتمادهم في إثبات رسالة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم- على معجزة القرآن فقط دون سواها من المعجزات.

يقول الهمداني(١٥): "لم يعتمد شيوخنا في إثبات نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم- على المعجزات .." [١٦ : جـ١٦ ، ص١٥٢].

ويقول عن المعجزات: "فلا يصح أن يستدل بها على صحة النبوة، ولذلك اعتمد شيوخنا في تثبيت نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم- على القرآن" [١٦ : جـ١٦ ، ص١٥٢].

تأثر وجوه الإعجاز بالاتجاه العقدي

كان للاتجاهات العقدية أثرها البيّن في بناء نظرية إعجاز القرآن من حيث وجوه الإعجاز، فنشأت نظريتان في إعجاز القرآن، بنيت على خلاف في مسائل عقدية هي: مسألة كلام الله أهو من صفات الذات أو من صفات الأفعال؟

ويوجه خاص في القرآن هل هو مخلوق أو لا؟

ومن هنا جاء القول القائل بالصَّرفة.

فظهر أثر هذا الخلاف في البيان المتصل بإعجاز القرآن حول اللفظ والمعنى، وقيمة اللفظ المفرد في الفصاحة، وقيمة التلاؤم اللفظي والانسجام الصوتي، وحول المجاز ووظائفه، والاستعارة ومكانتها، وحول العلاقة بين الاسم والمسمى.

---

(١٥) هو: عبدالجبار بن أحمد أبو الحسن الهمداني، القاضي المتكلم، شيخ المعتزلة، من مؤلفاته: دلائل النبوة، والمغني في أبواب التوحيد والعدل. توفي سنة ٤١٥هـ. انظر: تاريخ بغداد ١١/١١٤، وسير أعلام النبلاء ٩٧/٥.

يقول الدكتور أحمد أبو زيد: "وقد تأثر علماء الإعجاز تأثراً واضحاً بهذه الخلافات البيانية اللغوية الكلامية في دراستهم لإعجاز القرآن، فاتجه المعتزلة إلى العناية بجماليات الصياغة اللفظية والتلاؤم اللفظي والانسجام الصوتي والمجاز وفنون البديع، وجعلوا ذلك من وجوه إعجاز القرآن.

ثم يقول: "واتجه فريق آخر إلى العناية بالمعاني التي تتحكم في صياغة التركيب اللغوي بحكم سبقها وأصالتها، وبحكم أن الألفاظ تابعة لها وهذا هو رأي الأشاعرة" [١٧ : ص٢٠].

فاعتقاد الفريقين في القرآن بُنِيَ عليه الحديثُ عن وجوه إعجاز القرآن.

فمرد هذا الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة في وجه إعجاز القرآن هو:

أن المعتزلة يرون أن كلام الله من صفات الأفعال لا من صفات الذات، وحقيقة الكلام عندهم هو: الحروف المنظومة والأصوات المتقطعة، وهذا أدّى بهم إلى القول بخلق القرآن؛ لأنه مؤلّف من حروف منظومة منطوق بها [١٨ : جـ٢، ص١٦٢- ٢١٣] و[١٩ : جـ٢، ص٢٨٦- ٢٩٨].

أما الأشاعرة فيرون أن كلام الله معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، ولا يتبعض ولا يتجزأ [٢٠: ص٩٩، ١٠٦] و[٢١: ص٦١- ٦٥] و[٢٢: جـ١، ص١٠٨- ١٠٩].

أوجه إعجاز القرآن كما يراها الباحثون في الإعجاز

يعتـبر هذا المبحث هو لبّ البحث في هذا العلم – علم إعجاز القرآن- . واختلفت أقوال العلماء في أوجه الإعجاز القرآني، وتعددت آراؤهم، فمنهم من يذكر

وجهاً واحداً ويقصر إعجاز القرآن عليه، ومنهم من يذكر عدة أوجه، حتى أوصلها بعضهم -كما ذكر السيوطي [٢٣ : جـ١، ص٥٠]- إلى ثمانين وجهاً.

وسأذكر هنا أبرز العلماء الذين كتبوا في أوجه الإعجاز مراعياً المنهج التاريخي لبيان قضية التدرج والتطور في النظرة إلى أوجه الإعجاز.

أ) أوجه الإعجاز عند السابقين

١- وجه الإعجاز عند الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٠هـ

يذكر كثير من الباحثين في الإعجاز أن الجاحظ أول من أفرد الإعجاز القرآني بمؤلف مستقل، هو كتاب "نظم القرآن" إلا أن هذا الكتاب لم يصل إلينا. وقد أشار إليه في كتابه "الحيوان" ولكن يمكن من خلال قراءة كتبه ورسائله استخلاص رأيه في الإعجاز.

ففي رسالة له بعنوان "حجج النبوة" يقول: "فكتبت له كتاباً أجهدت فيه نفسي، وبلغت فيه أقصى ما يمكن لمثلي في الاحتجاج للقرآن والرد على الطعان، فلم أدع فيه مسألة لرافضي .. إلى أن قال: ولا لأصحاب النظام ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة" [٢٤ : ص١٤٨].

وأما رأيه في الإعجاز فقد ورد عنه رأيان في ذلك، أحدهما:

أنه النَّظم الذي انفرد به القرآن في صياغة أساليبه، لذلك يُعدّ الجاحظ أول من وضع للمعتزلة الأسس التي تقوم عليها نظرية النظم.

وقد وردت إشارات إلى هذا في كتاب "حجج النبوة" فمنها قوله: "تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه في المواضع الكثيرة والمحافل العظيمة، فلم يرم ذلك أحد ولا تكلفه، ولا أتى ببعضه ولا شبيه منه ولا ادعى أنه فعل" [٢٤ : ص١٣١].

وهذا الرأي لم يكن رأياً صريحاً للجاحظ، وإنما كان عن طريق الاستدلال والاستنتاج، لمقولاته -كما يذكر د. عبدالكريم الخطيب [٢٥ : ص١٦٥].

وورد أنه قال إن وجه إعجاز القرآن هو أن الله صرف العرب عن معارضته فهذا اضطراب منه وتناقض لا ندري ما سببه؟

فهل قال بالأول – يعني الصرفة – حين كان لا يزال متأثراً بآراء أستاذه النظام، وبالثاني – يعني النظم- حين استقل بنفسه أو أنه جمع بين الرأيين معاً؟ لا ندري فإنه يذكر الرأيين في كتابه الحيوان متتاليين تقريباً" [٨ : ص٥٦].

ويستبعد الحمصي أن يكون الجاحظ قد قال بالرأيين في وقت واحد؛ لما نعرفه عنه من قوة التفكير، ووضوح الحجة.

٢- وجه الإعجاز عند الرماني[١٦] المتوفى سنة ٣٨٦هـ

يُعدّ الرمّاني المؤلف الثالث الذي ناصر قضية الأسلوب والنظم بعد الجاحظ والواسطي، فإنه بذلك رفع الرأي درجة ثالثة كما يقول الرافعي [٢٦ : ص١٥٣].

وقد ألّف كتاباً من أهم كتب إعجاز القرآن، وهو النكت في إعجاز القرآن.

وقد ذكر في مقدمته أن أوجه الإعجاز هي:

ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة" [٢٧ : ص٧٥].

ثم ركّز في كتابه على الإعجاز البلاغي باستثناء الصفحتين الأخيرتين.

---

(١٦) هو: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني المعتزلي، برع في علوم القرآن، والتفسير، والنحو، والكلام. توفي سنة ٣٨٦هـ. انظر: بغية الوعاة (٢/ ٨٠).

وهذه الرسالة جاءت في صورة حوار فلسفي يكتسي صفة كلامية اعتزالية [٢٨: ص٧٠].

ويرى د. أحمد أبو زيد أن أبواب البلاغة التي تناولها الرماني في رسالته تدخل كلها في مجال الصياغة اللفظية، وتدل على أنه ينطلق من الفكر الاعتزالي، وأصوله المتعلقة بالقرآن وحدوثه، وأنه يسير في دراسة إعجاز القرآن على نهج سلفه الجاحظ [٢٩: ص٦٤].

ونلحظ في رأي الرماني في الإعجاز اتجاهاً جديداً وهو: جمعه لكثير من النظريات التي قيلت قبله. فهو لا يأخذ بناحية وينقد الأخرى أو يرفضها، بل يقبل كل ما قيل في أوجه الإعجاز.

٣- وجه الإعجاز عند الخطابي[١٧] المتوفى سنة ٣٨٨هـ

يُعدّ الخطابي أسبق علماء المسلمين إلى البحث عن "الإعجاز" بحثاً علمياً منظماً حيث ألف رسالة سماها "بيان إعجاز القرآن".

وقد بدأ رسالته هذه بذكر أن الناس اختلفوا في هذا الباب، وذهبوا فيه كل مذهب من القول.

ثم ذكر أوجه الإعجاز عند من سبقه، مع عدم موافقته لها وهي:

١- الإعجاز بالصرفة، وقد تصدى الخطابي للرد عليها.

٢- أن إعجازه فيما تضمنه من الأخبار الغيبية.

---

(١٧) هو: أحمد بن محمد بن الخطاب الخطابي، محدّث، لغوي، فقيه، أديب. توفي سنة ٣٨٨هـ. انظر: بغية الوعاة (١٦٠/١).

وقد ذكر أن هذا النوع من أنواع إعجاز القرآن، لكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن.." [٢٧ : ص٢٣].

فلا يرى قصر إعجاز القرآن على هذا الوجه لما ذكر.

٣- أن إعجازه من جهة البلاغة. وهذا قول أكثر علماء النظر.

وقال: وجدت عامة أهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد. ثم ذكر وجه الإعجاز عنده بقوله:

"اعلم أن القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني" [٢٧ : ص٢٣].

فنلاحظ أن الخطابي ربط في الإعجاز بين اللفظ والمعنى مما يبين أن للمعنى عنده أهمية كبرى.

إضافة إلى أنه أشار إلى وجه جديد لم يسبق لمن قبله أن ذكره، ألا وهو: الإعجاز التأثيري حيث يقول:

"قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه .." [٢٧ : ص٧٠].

٤- وجه الإعجاز عند الباقلاني(١٨) المتوفى سنة ٤٠٣هـ

بحث الباقلاني وجوه إعجاز القرآن في كتاب يُعدّ من أشهر ما أُلِّف في الإعجاز ألا وهو: "إعجاز القرآن". حيث قصد فيه إلى البحث مباشرة في الإعجاز وتعرض أيضاً

---

(١٨) هو: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، من أشهر مؤلفاته: إعجاز القرآن، والتمهيد، ولد بالبصرة، ثم استوطن بغداد، توفي سنة ٤٠٣هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩).

للإعجاز في كتب أخرى له هي: "الانتصار لنقل القرآن"، و"نكت الانتصار" وهو مختصر للانتصار، والتمهيد.

وقد ذكر أن أوجه الإعجاز عنده ثلاثة – مقتفياً أثر الأشاعرة في نظرتهم للإعجاز- حيث قال: "ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز أحدها: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم عليه.

والوجه الثاني: ما فيه من أنباء الأولين وقصصهم مع العلم بأن النبي – صلى الله عليه وسلم- لم يكن يتلو من قبله كتاباً ولا يخطه بيمينه.

والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه" [٢٧: ص٨٦].

والناظر في هذه الأوجه يلاحظ أن الوجه الأول والثاني هما وجه واحد يدخل تحت: الإخبار عن الغيوب.

يلحظ على أوجه الإعجاز عند الباقلاني:

١- أنه وسّع مفهوم النظم في إعجاز القرآن، ورده إلى جملة أمور عرض لها في كتابه، فمن ذلك أن في القرآن وِحْدةً ونظاماً يجعلان منه عملاً أدبياً رائعاً متكاملاً، ذلك هو: اتساقه في جملته، وائتلاف السورة منه ائتلافاً يبين فيه ترابط أجزائها، وأن إعجازه لا يتوقف ولا يبين من الصور الجزئية التي نراها في استعارة أو تشبيه أو كناية، فإن ذلك مما يمكن أن نراه فعلاً في كثير من أشعار العرب ونثرها.

وأما الذي يستأثر به القرآن، ولا يجد نظيره في غيره من الكلام فهو التحام أجزائه على تباين الموضوعات التي تعرض لها بحيث تطلع كل سورة علينا وهي خلق متكامل متناسق.

ثم إن القرآن لا يتفاوت أسلوبه على كثرة ما يتصرف فيه من أغراض فهو في آيات الوعيد والتبشير مثله في آيات القصص وآيات الجدل، وآيات الجنة والنار.

وكذلك هو في الإيجاز مثله في الإطناب، وهو عند استعمال اللغة على حقيقتها لا يتدلى عنه حين يستخدمها على طريق المجاز، تشبيهاً أو تمثيلاً أو كناية.

كما أنه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم.

وأخيراً جاء القرآن وقد "سهل سبيله فهو خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة، وجعله قريباً إلى الأفهام... ومع ذلك فهو ممتنع المطلب" [٢٧ : ص٦٩].

تلكم هي المناحي التي تصورها الباقلاني في النظم في القرآن الكريم، وهو تصور لم يذكره أحد من قبله، وإن كانت الفكرة الأساسية مما قيل به قبله، وذلك في الحقيقة يجعل الباقلاني — وبحق- من أوائل من حاولوا تبيين الإعجاز في القرآن من ناحية النظم على هذا النحو العريض [٣٠: ص٥٠٢- ٥٠٤].

٢- سعى الباقلاني لنصرة مذهبه في دراسة إعجاز القرآن فَدَعَّم مذهب الأشاعرة في دراسة أوجه الإعجاز، لكنه من حيث التطبيق كان قريباً من المعتزلة "وهذا يؤكد أنه كان يمثل مرحلة البحث عن نظرية أشعرية في النظم والإعجاز القرآني" [٢٩ : ص٩٤].

٣- أنه وسّع وجوه الإعجاز البياني فجعلها عشرة ، بعد أن كانت محصورة في ثلاثة أوجه كما ذكر الخطابي.

٤- أنه أفاض في رد القول بالصرفة في الإعجاز.

٥- وجه الإعجاز عند الجرجاني(١٩) المتوفى سنة ٤٧١هـ

كتب عبدالقاهر الجرجاني عدة كتب في الإعجاز هي: الشافية، وقد قرر في هذه الرسالة حقيقة الإعجاز وقيام الدلائل على وقوعه.

وكتب كتابين آخرين هما: "*أسرار البلاغة*"، و "*دلائل الإعجاز*".

ويُعدّ الكتاب الأول -كما يقول عبدالكريم الخطيب- [٢٥: ص٢٤٢] مقدمة وتمهيداً لكتابه الثاني، ذلك أنه في كتاب "*أسرار البلاغة*" كان يحاول أن يكشف وجوه الحسن في الكلام، ويدل على مواقع الحسن منها، ويحدد المطالع التي جاءت من جهتها.

أما في كتابه "*دلائل الإعجاز*" فقد نحا هذا النحو أيضاً، ولكنه كان ينظر بعين إلى البيان العربي، وبعين أخرى إلى الإعجاز القرآني، في حين أنه كان في كتابه "أسرار البلاغة" ينظر إلى البيان العربي بعينيه جميعاً.

والجرجاني قد حدد في "*دلائل الإعجاز*" وجه إعجاز القرآن ألا وهو: النظم؛ ولذا يعدّه العلماء المحدد لمعالم هذه النظرية عند الأشاعرة.

يقول: "فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه، لم يبق إلا أن يكون في (النظم) لأنه ليس من بعد ما أبطلناه أن يكون فيه إلا (النظم) و(الاستعارة) ولا يمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز وأنه يُقْصَر عليها؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في آي معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة، وإذا امتنع ذلك فيها، ثبت أن (النظم) مكانه الذي ينبغي أن يكون فيه..، وكنا قد قلنا أن ليس (النظم) شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم" [٣١: ص٣٩١].

---

(١٩) هو: أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني، توفي سنة ٤٧١هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣٦٩/٢).

وخلاصة نظريته في النظم إنما هو: نظم للمعاني، والمتكلم يقتفي في نظم كلماته آثار المعاني، ويرتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس.

وبذلك يخالف رأي المعتزلة في التمسك في النظم باللفظ، يقول: "لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على جذورها لكان ينبغي ألا يختلف حال اثنين في العلم بحسب النظم" [٣١: ص٤٣].

فالبلاغة في رأي الجرجاني لا تعود إلى الألفاظ من حيث هي ألفاظ مقروءة، وإنما تعود إلى معانيها بعد أن يلتئم شملها في نظم، حيث يقول: "إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مقروءة، وإنما الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ" [٣١: ص٤٠].

ويقول: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرفه مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها" [٣١: ص٥٤].

إذاً تعتمد نظرية الجرجاني في النظم على وجهين هما:

- ترتيب المعاني في النفس.
- وتوخي المعاني النحوية.

والجرجاني قد ردّ على القائلين بأن الصرفة هي وجه إعجاز القرآن، وأثبت بطلان ذلك في رسالته "الشافية" [٣٢: ص١٤٧-١٤٨].

٦- وجه الإعجاز عن الزمخشري[٢٠] المتوفى سنة ٥٣٨هـ

---

(٢٠) هو: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي، ولد سنة ٤٦٧هـ، معتزلي قوي في مذهبه. توفي سنة ٥٣٨هـ. انظر: طبقات المفسرين (٢/٣١٤).

لم يكن للزمخشري مؤلف في الإعجاز، إلا أنه سلك في تفسيره مسلك الاهتمام ببلاغة القرآن، فأبرز وجوه إعجاز القرآن من خلال الأساليب البلاغية التي أشار إليها وهو يفسر الآيات القرآنية. فكشف عن إعجاز النظم القرآني وأسراره في المفردات والتراكيب.

وبنى فكرته في الإعجاز على خصائص الكلمات والنظم في التعبير ويوافق رأي الجرجاني قليلاً، فالإعجاز عنده قائم على المعاني من تعريف وتنكير وتقديم وتأخير، ثم على ما يتصل بعلم البيان.

يقول عبدالكريم الخطيب: "ومن الحق أن القول: إن الإمام الزمخشري يُعدّ من المفسرين أول أو أكثر من اهتم ببحث البيان في القرآن" [٢٥ : ص٩٣].

٧-وجه الإعجاز عند القاضي عياض[٢١] المتوفى سنة ٥٤٤هـ

تحدث القاضي عياض عن الإعجاز القرآني في كتابه "الشفا بحقوق المصطفى" في فصلٍ، ذكر فيه وجوه الإعجاز وهي:

أولاً: حسن تأليفه، والتئام كلامه، وفصاحته ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب [٣٣: جـ١، ص٥٠٠].

ثانياً: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه...) [٣٣: جـ١، ص٥١١].

وهذان الوجهان يمكن ردهما إلى وجه واحد، وهو: الوجه المبتدي في إعجاز الصورة البيانية للقرآن، أوما اصطلح على تسميته بنظم القرآن" [٣٤: ص٨٨].

---

(٢١) هو: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، اشتهر بأخباره وعلمه وأدبه وتأليفه حتى قيل: لولا عياض لما عرف المغرب. انظر: وفيات الأعيان (٤٨٣/٣)، وطبقات المفسرين (٢١/٢).

ثالثاً: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر[٣٣: جـ١، ص٥١٨].

رابعاً: ما أنبأ من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة [٣٣: جـ١، ص٥٢٢].

ثم عدد القاضي عياض وجوهاً أخرى للإعجاز يرى أنها ليست أصلاً في هذا الباب، فيضيف وجهين آخرين يستصيغهما:

أولهما: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته.

ثانيهما: كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، مع تكفل الله بحفظه.

ثم عرض أوجهاً أخرى للإعجاز لم يقبلها إلا أنه ذكر أن جماعة من الأئمة ومقلديهم اعتدوا بها.

فوجه الإعجاز عند القاضي عياض من حيث المضمون ومن حيث الأسلوب فجمع بين الوجوه البيانية والغيبية.

٨- وجه الإعجاز عند فخر الدين الرازي(٢٢) المتوفى سنة ٦٠٦هـ

تحدث الرازي عن الإعجاز في عدة كتب، أشهرها كتاب: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز. وهو اختصار لكتابي الجرجاني: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

وقد ذكر أن للناس أربعة مذاهب في وجه إعجاز القرآن وهي: الصرفة، ومخالفة أسلوب القرآن لأسلوب الشعر والخطب والرسائل، وأنه ليس في القرآن تناقض،

---

(٢٢) هو: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني فخر الدين الرازي. ولد سنة ٥٤٤هـ. من تصانيفه: المحصول، وتأسيس التقديس، ومفاتيح الغيب. توفي سنة ٦٠٦هـ. انظر: طبقات المفسرين للداوودي (٢/٢١٥).

واشتماله على الغيوب. ثم أبطل هذه الوجوه الأربعة. وذكر وجه الإعجاز عنده وهو: الفصاحة.

حيث يقول: "ولما بطلت هذه المذاهب، ولابد من أمر معقول حتى يصبح التحدي به، ويعجز الغير عنه، ولم يبق وجه معقول في الإعجاز سوى الفصاحة، علمنا أن الوجه في كون القرآن معجزاً هو الفصاحة" [٣٥: ص٣٣- ٣٤].

٩- وجوه الإعجاز عند القرطبي(٢٣) المتوفى سنة ٦٨٤هـ

ذكر الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره أن أوجه إعجاز القرآن عشرة، منها ما يتعلق بنظمه وتأليفه، ومنها ما يتعلق بمعانيه وأحكامه.

الأول: النظم البديع المخالف لكل معهود في لسان العرب.

الثاني: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

الثالث: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال.

الرابع: الصَّرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه.

الخامس: الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أُمي ما كان يتلو من كتاب، ولا يخطه بيمينه.

السادس: الوفاء بالوعد، المدرك بالحس في البيان في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم إلى أخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله عليه السلام..، وإلى وعد مقيّد بشرط كقوله : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق، الآية ٣].

---

(٢٣) هو: محمد بن أبي بكر الأنصاري المالكي، أبو عبدالله القرطبي، مصنف التفسير المشهور "الجامع لأحكام القرآن"، توفي سنة ٦٧١هـ. انظر: طبقات المفسرين (٢/ ٦٩).

السابع: الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي.

الثامن: ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام.

التاسع: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف.

العاشر: الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي.

ثم ذكر القول بالصرفة وردَّه [٤ : جـ١، ص٧٣- ٧٥].

١٠- وجه الإعجاز عند الزركشي(٢٤) المتوفى سنة ٧٩٤هـ

حكى الإمام الزركشي اثنى عشر وجهاً من أوجه الإعجاز مما ذكرها العلماء قبله ثم رجّح أن الإعجاز وقع بجميعها، لا بكل واحد على انفراد.

فليس له رأي خاص في الإعجاز.

١١- وجه الإعجاز عند السيوطي(٢٥) المتوفى سنة ٩١١هـ

عقد الإمام السيوطي في كتابه "الإتقان" باباً في إعجاز القرآن، وألّف أيضاً كتاب "معترك الأقران في إعجاز القرآن".

---

(٢٤) هو: أبو عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله المصري الزركشي الشافعي، ولد سنة ٧٤٥هـ. من تصانيفه: البرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط في أصول الفقه. توفي سنة ٧٩٤هـ. انظر: شذرات الذهب (٥٦٨/٨).

(٢٥) هو: عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ألّف في معظم الفنون حتى بلغت مؤلفاته نحواً من ٦٠٠ كتاب، منها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، همع الهوامع. توفي سنة ٩١١هـ. انظر: البدر الطالع (٣٢٨/١).

وقد قام بتلخيص أقوال من سبقه في أوجه الإعجاز، وقرّر أن بعض العلماء أنهى وجوه الإعجاز إلى ثمانين وجهاً، عدّد منها خمسة وثلاثين وجهاً أطال النفس في شرح الوجه الأخير وهو في ألفاظ القرآن المشتركة.

وقد قرّر–أيضاً- (أن بعض الأوجه التي ذكرها ليست من أوجه الإعجاز حيث يقول: "وإن كانت بعض الأوجه لا تُعدّ من إعجازه، فإنما ذكرتها للاطلاع على بعض معانيه ..).

ونقل في الإتقان عن القاضي عياض ما يؤكد هذا الرأي في كثرة هذه الوجوه حيث قال: "والأوجه التي قبله تعدّ في خواصه وفضائله لا في إعجازه.."[٥ : جـ١ ، ص١٠١٧].

ب) وجوه إعجاز القرآن عند المعاصرين

اعتنى المعاصرون بدراسة إعجاز القرآن الكريم، واختطّ بعضهم مسارات جديدة في إعجاز القرآن كالإعجاز العلمي، والإعجاز العددي، والإعجاز التشريعي.. وغيرها من المسارات التي توسّع فيها بعض المعاصرين فأقحموا آيات القرآن في استنباطات ودلالات، وإشارات علمية؛ ليست من باب الإعجاز الذي يتناوله هذا اللفظ حينما خوطبت به العرب.

وسأذكر هنا أبرز المعاصرين ممن كتبوا في أوجه إعجاز القرآن:

١- وجه الإعجاز عند الرافعي المتوفى سنة ١٣٥٦هـ

ألّف الرافعي كتاباً في إعجاز القرآن هو: "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية".

ووجه الإعجاز عنده يتلخص في اعتماده على أن عمدة ذلك هو الحروف وأصواتها، ثم الحركة الصرفية واللغوية للألفاظ القرآنية المشتملة على تلك الحروف.

فوجه الإعجاز عنده: هو بلاغة النظم.

يقول عن أوجه إعجاز القرآن: "إنما هي صفات من نظم القرآن وطريقة تركيبه، فنحن قائلون في سر الإعجاز الذي قامت عليه هذه الطريقة وانفرد به ذلك النظم" [٢٦: ص٢٣٨].

٢- وجه الإعجاز عند د. محمد عبدالله دراز المتوفى سنة ١٩٥٨م

تحدث د. دراز عن إعجاز في كتابه العظيم "*النبأ العظيم*".

وذكر أن أوجه إعجاز القرآن ثلاثة هي:

١- الإعجاز اللغوي.

٢- الإعجاز العلمي.

٣- الإعجاز التشريعي.

وممن وافقه في هذا المنهج شيخنا الشيخ مناع القطان -رحمه الله- في كتابه "مباحث في علوم القرآن" [٣٦: ص٢٦٤- ٢٨٠]، ود. مصطفى مسلم في كتابه "مباحث في إعجاز القرآن" مع زيادة وجه الإعجاز الغيبي.

٣- وجه الإعجاز عند د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)

وقد بنت د. عائشة بنت الشاطئ نظرية الإعجاز على: الإعجاز البياني في كتابها: "*الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية*" إذ تقول: "الإعجاز البياني هو الذي ذهب إليه الأكثرون من علماء النظر، وسيطر على مباحث المتكلمين في الإعجاز، سواء منهم من جعلوه الوجه الذي يصح به التحدي بالسورة الواحدة من القرآن، ويفسر موقف العرب، عصر المبعث من المعجزة، والذين ذكروا مع إعجازه البلاغي غيره من وجوه الإعجاز الأخرى التي لا مشاحة فيها، وإنما الخلاف في أن تنفصل عن إعجاز نظمه وبلاغته.

والواقع أن المصنفات الأولى في الإعجاز على اختلاف مذاهب أصحابها جاءت أشبه بمباحث بلاغية مما قدّروا أن إعجاز القرآن يعرف بها.

وبعد أن استقلت البلاغة بالتأليف والتصنيف وُجِّهت إلى خدمة الإعجاز البلاغي.." [١٠ : ص٩٤].

وقفة تحليلة لأوجه إعجاز القرآن

الناظر في هذه الأوجه يمكن أن يردَّ بعضها إلى بعض فتتداخل، فمنها ما يدور حول نظم القرآن وأسلوبه، ومنها ما يدور حول الغيبيات، ومنها ما يركز على تميز هذه الشريعة في أنظمتها وقوانينها وأخلاقها.

وكل عالم ينظر إلى وجه إعجاز القرآن من خلال العلم الذي برع فيه، "فالقرآن: يراه الأديب معجزاً، ويراه اللغوي معجزاً، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزاً، ويراه علماء الاقتصاد معجزاً، ويراه المربون معجزاً، ويراه علماء النفس والمعنيون بالدراسات النفسية معجزاً، ويراه علماء الاجتماع معجزاً، ويراه المصلحون معجزاً، ويراه كل راسخ في علمه معجزاً" [٣٧ : ص٢٢].

هذه النظرة من سلبياتها أنها دفعت بعض العلماء لإدخال كل العلوم في باب الإعجاز، بل أدت إلى أن أقحم بعضهم النظريات المعاصرة في أبواب العلوم التجريبية وعلم النفس وغيره من الإعجاز القرآني.

يقول الإمام الشاطبي: "إن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدّ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات، والتعاليم –أي العلوم الرياضية– والمنطق، وعلم الحروف اليازرجة، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها" [٣٨: جـ١، ص٨١].

لذلك أرى من المهم التنبيه على أمرين كان لهما أكبر الأثر في كثرة تعداد أوجه الإعجاز، هما:

الأول: ما ذكرت –آنفاً– من إقحام بعض العلماء لكل العلوم والفنون في إعجاز القرآن.

وثانيهما: عدم التفريق بين أمرين هما:

ما يتعلق بالقرآن ذاته من حيث نظمه وأسلوبه: وهو الوجه الذي عجز العرب عن الإتيان بمثله، وبه تحداهم الله عز وجل وثبت عجزهم في عصر النبوة.

وهذا هو لبّ إعجاز القرآن المُتحدى به.

وأمر آخر وهو: ما اشتمل عليه القرآن من الأمور والدلائل والحقائق والأخبار الغيبية التي غايتها الدلالة على أنه من عند الله.

وهذا هو الأمر الذي تكاثرت فيه أقوال بعض العلماء فذكروا كثيراً من أوجه الإعجاز مما يدخل في الحقيقة في هذا فغايته الدلالة على صدق الرسول، وأن القرآن حق من عند الله.

يقول الشيخ محمود شاكر [٣٩: ص٢٦]: "والخلط بين هاتين الحقيقتين، وإهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظر وفي دراسة إعجاز القرآن قد أفضى إلى تخليط شديد في الدراسة قديماً وحديثاً.." [٢٦].

وقد قرر ذلك الإمام السخاوي[٢٧] المتوفى سنة ٦٤٣هـ.

---

(٢٦) وقد ذكر هذا في مقدمته "فصل في إعجاز القرآن" لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن بني.

(٢٧) هو: العلاّمة أبو الحسن علي بن محمد الهمداني، المقرئ، النحوي، الشافعي. انتهت إليه رئاسة الإقراء والأدب بدشمق، من مؤلفاته: شرح الشاطبية، وجمال القراء. توفي سنة ٦٤٣هـ. انظر: الشذرات (٣٨٥/٧).

فقال في كلام جميل ليؤكد الفرق بين هذين الأمرين إذ هناك أوجه لإعجاز القرآن، وأوجه وأمور ودلالات تدل على أن القرآن هو من عند الله.

"لا ريب في عجز البلغاء وقصور الفصحاء عن معارضة القرآن العظيم، وعن الإتيان بسورة من مثله في حديث الزمان والقديم، وذلك ظاهر مكشوف ومتيقن معروف، لا سيما القوم الذين تحداهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ، فإنهم كانوا ذوي حرص على تكذيبه والرد عليه، وحالهم معه معروفة في معاداته ومعاندته، وإظهار بغضه وأذاه، وقدفه بالجنون والشعر والسحر، فكيف يترك من هذه حاله معارضته وهو قادر عليها.. فلا ريب في أنهم راموا ذلك فما أطاقوه، وجاولوه فما استطاعوا، وأنهم رأوا نظماً عجيباً خارجاً عن أساليب كلامهم، ورصفاً بديعاً مبايناً لقوانين بلاغتهم ونظامهم، فأيقنوا بالقصور عن معارضته، واستشعروا العجز عن مقابلته وهذا هو الوجه في إعجاز القرآن.

وأما ما تضمنه القرآن العزيز من الإخبار عن المغيَّب، فليس ذلك مما تحداهم به، ولكنه دليل على صدق الرسول –صلى الله عليه وسلم- في كونه أمياً لا معرفة له ولا يحسن أن يقرأ، ولا وقف على شيء، من أخبار الأمم السابقة، حتى إنه لا يقول الشعر، ولا ينظر في الكتب، ثم إنه قد أتى بأخبار القرون الماضية والأمم الخالية، وبما كان من أول خلق الأرض والسماء إلى انقضاء الدنيا، وهم يعلمون ذلك من حاله، ولا يشكّون فيه، فهذه الحال دليل قاطع بصدقه –صلى الله عليه وسلم-.

"ولكن إعجاز القرآن من قبل أنه خارج في بديع نظمه وغرابة أساليبه عن معهود كلام البشر، مختص بنمط غريب، لا يشبه شيئاً من القول في الرصف والترتيب، لا هو من قبيل الشعر، ولا من ضروب الخطب والسجع، يعلم من تأمله أنه خارج عن المألوف

مباين للمعروف متناسب في البلاغة، متشابه في البراعة، بريء من التكلف، مُنَزَّه عن التصنع والتعسف" [٤٠: جـ١، ص٤٣- ٤٤].

وقد أكد الإمام السخاوي هذا المعنى في موضع آخر فقال: "فإن قيل: فهل في إقامته البراهين، وإيراد الدلائل على الوحدانية بذكر السماوات والأرض وتصريف الرياح والسحاب، وبأنه لو كان فيهما إله آخر لفسدتا، وعلى البعث بإنزال الماء وإحياء الأرض بعد موتها، وبالنشأة الأولى إلى غير ذلك -إعجاز؟ قلت: الإعجاز من جهة إيراد هذه الحجج في الأساليب العجيبة والبلاغة الفائقة، فهو راجع إلى ما قدمناه من نظم القرآن وإعجازه، وأما كونها براهين قاطعة، فهو دليل على صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- .." [٤٠: جـ١، ص٤٧].

وقد أكد هذا التفريق بين هذين الأمرين العلاّمة محمود شاكر فقال في (فصل في إعجاز القرآن) في مقدمته لكتاب (الظاهرة القرآنية) فقال: "ولا مناص لمتكلم في إعجاز القرآن من أن يتبين حقيقتين عظيمتين.. وأن يفصل بينهما فصلاً ظاهراً لا يلتبس، وأن يميز أوضح التمييز بين الوجوه المشتركة التي تكون بينهما.

أولاهما: أن (إعجاز القرآن) كما يدل عليه لفظه وتاريخه.. إنما هو تحدٍّ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك، فما هو بتحدٍّ بالإخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان.

ثانيهما: أن إثبات دليل النبوة، وتصديق دليل الوحي، وأن القرآن من عند الله.. لا يكون شيء منها يدل على أن القرآن معجز، ولا أظن أن قائلاً يستطيع أن يقول إن التوراة والإنجيل والزبور كتب معجزة، بالمعنى المعروف في شأن إعجاز القرآن، من أجل أنها كتب منزلة من عند الله، ومن البيّن أن العرب قد طُولبوا بأن يعرفوا دليل نبوة رسول الله

-صلى الله عليه وسلم-، ودليل صدق الوحي الذي يأتيه، بمجرد سماع القرآن نفسه، لا بما يجادلهم به .. فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن.

"والخلط بين هاتين الحقيقتين، وإهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظر وفي دراسة إعجاز القرآن قد أفضى إلى تخليط شديد في الدراسة قديماً وحديثاً.." [٣٩: ص٢٤-٢٦].

وبعد أن يبيّن الشيخ محمود شاكر هاتين الحقيقتين يخلص إلى ذكر رأيه في إعجاز القرآن فيقول: "إن الإعجاز كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه .. وأن ما في القرآن من مكنون الغيب، ومن دقائق التشريع ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان فيه من ذلك كله يعد دليلاً على أنه من عند الله تعالى ..." [٣٩: ص٢٤- ٢٥].

وبذلك يتضح الفرق بين أوجه الإعجاز المتحدى بها، وبين الأمور التي ذكرها كثير من العلماء التي تندرج تحت ما يثبت أن القرآن من عند الله.

ونخلص من ذلك إلى النتائج التالية:

١- أن الوجه الإعجازي في القرآن هو الذي يتحقق في كل سورة من سوره وهو الذي به تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله وهو الإعجاز البياني في نظم القرآن وأسلوبه وفصاحته وبلاغته ومعانيه.

وقد قامت الحجة على العرب حينما لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، وبذلك تكون الحجة قامت على من بعدهم؛ لأن العرب الذين بُعث فيهم رسول الله هم أهل الفصاحة والبلاغة، ومن بعدهم لا يبلغون ما بلغوا في ذلك.

"وقامت الحجة على العالم بالعرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة، ومظنة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحر، وفي معجزة عيسى بالأطباء، فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبرع ما تكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره، فكان السحر قد انتهى في مدة موسى إلى غايته، وكذلك الطب في زمن عيسى، والفصاحة في زمن محمد –صلى الله عليه وسلم- "[٥ : جـ١، ص١٠٠٨].

٢- أن بقية الأوجه التي يذكرها العلماء السابقون والمعاصرون –غير هذا الوجه- ليست من أوجه إعجاز القرآن التي تحدى الله بها العرب الذين خوطبوا بالقرآن؛ لأنها تعتمد على إثبات وتقرير أن هذا القرآن هو من عند الله، بدليل ذكر هذه الحقائق والمغيبات التي يعجز أن يأتي بها محمد –صلى الله عليه وسلم- "وما هو في القرآن من المعارف الإلهية، وبيان المبدأ والمعاد، والإخبار بالغيب، فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن، بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم، ويكون الإخبار بالغيب إخباراً بالغيب، سواء كان بهذا النظم أو بغيره، مورداً بالعربية أو بلغة أخرى، بعبارة أو بإشارة" [٥ : جـ٢، ص١٠٠٩].

فهذه الأوجه تعطي الدلالة على صدق النبي –صلى الله عليه وسلم- وأن القرآن وحي من عند الله.

مسألة: التحدي والإعجاز

يبحث الدارسون لقضية الإعجاز هذه المسألة، وهي هل كان التحدي موجهاً إلى العرب في عصر النبي –صلى الله عليه وسلم- أو أنه قائم أبداً على امتداد الزمان؟

فذهب فريق إلى اختصاص أهل العصر الأول بالتحدي، وذهب آخرون إلى أنه تحدٍ لسائر الناس على مر العصور والأجيال [٢٧ : ص١٠].

وأرى أن المسألة السابقة في حديثي عن أوجه الإعجاز لها ارتباط بهذه المسألة.

فإن الذي تُحدي به العرب هو أن يأتوا بمثل القرآن في نظمه وبيانه ومعانيه، وبذلك التحدي ثبت عجز غيرهم ممن بعدهم لما عجزوا هم عن ذلك.

وأما الأنواع الأخرى التي يطلق عليها بعض العلماء إعجازاً مثل: الإعجاز الغيبي، والتشريعي، والعلمي فهذه لم يتحد الله بها العرب، بل غاية ما تدل عليه أن هذا القرآن وحي من عند الله، ليس لبشر مثل محمد -صلى الله عليه وسلم- أن يأتي بمثله.

وإلى ذلك ذهب الشيخ محمد أبو زهرة حيث قال وهو يعلق على الوجوه الكثيرة التي يذكرها الدارسون في بيان إعجاز القرآن: "إن بعض هذه الوجوه تحدى بها القرآن الكريم .. والوجوه الأخرى لم يتحد بها القرآن الكريم، وإن كانت من عند الله تعالى العليم الحكيم، مثل إخباره عن أمور مغيبة في المستقبل، ثم وقوعها كما أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه، وإخباره عن الأمم السابقة.. فذكر هذا القرآن الذي نزل على أُمّي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يجلس إلى معلم، دليل على أنه من عند الله سبحانه وتعالى .. فكان التحدي للعرب ابتداء بالمنهج البياني للقرآن .." [٤١ : ص٩٠-٩١].

ولذا فإني أميل إلى الرأي الذي حررته د. عائشة بنت الشاطئ في هذه المسألة من التفريق في هذه المسألة الدقيقة بين الإعجاز والتحدي.

إذ تقول [١٠ : ص٧٤]: "الإعجاز قائم في كل عصر لا يختص به أهل زمان دون زمان، وهذا هو ما نفهمه من كلام الإمام الطبري عما أيد الله به المصطفى من معجزة "على الأيام باقية، وعلى الدهور والأزمان ثابتة، وعلى مر الشهور والسنين دائمة" [٤٢ : جـ١ ، ص٥].

فالحديث هنا عن المعجزة، لا عن التحدي كما فهم من نقل هذه الفقرة من كلام الطبري، واستخلص منها "أن الإعجاز فيها واقع في كل عصر، والتحدي بها لازم لأهل كل زمان"[٢٨].

فإن يكن للعرب في عصر المبعث وجه اختصاص بالتحدي، فلأنهم أصحاب هذا اللسان العربي يدركون أسرار بيانه.

فمناط التحدي إذن، هو عجز بلغاء العرب في عصر المبعث عن معارضة هذا القرآن، دون أن يُفهم من هذا أن حجة إعجازه خاصة بعصر دون عصر، أو على العرب دون العجم.

وكان الخلط بين ما في ثبوت عجز المشركين من العرب عن الإتيان بسورة من مثله، من حسم لموقف التحدي، وبين خلود المعجزة وبقاء الحجة بها ثابتة على مر الدهور، هو مدعاة الالتباس في القضية وطول الجدل فيها.

وقد نقل "القاضي عبدالجبار" كلام من سألوا عن العجم، ممن لا يعرفون الفصاحة أصلاً، كيف يعرفون مزية كلام فصيح على سواه؟ فإن كانوا لا يعرفون ذلك فيجب ألا يكونوا محجوجين بالقرآن.

وردّ بأن الجميع من العجم يعرف إعجاز القرآن، في الجملة، بعجز العرب عن معارضته مع توافر الدواعي.

وقد أطال القاضي عبدالجبار الكلام في موقف العجم عن إعجاز القرآن، وهم لا يعرفون القدر المعتاد من الفصاحة فضلاً عن أن يعرفوا الخارج من هذا الحد، ونقل أقوال شيوخه في هذه المسألة، ثم قال: "فأما قول من يقول: إن العجم إذا لم يصح فيهم تأتّي مثل هذا القرآن، ولا تعذُّره، فلا ينكشف ذلك فيهم أصلاً، فكيف يصح التحدي فيهم

(٢٨) هذا من كلام السيد صقر، على هامش ص١١، من (إعجاز القرآن) للباقلاني.

والاحتجاج بالقرآن عليهم؟ فبعيد، وذلك لأنا لا نقول إنه –صلى الله عليه وسلم– تحداهم، وإنما تحدى أهل هذا الشأن، وجعل تعذر المعارضة عليهم دلالة على نبوته، ودلالة لسائر الناس على أن القرآن خارج عن العادة.. فهم يعلمون أن تعذر المعارضة على أهل هذا اللسان هو الدلالة، فإذا أمكنهم معرفة ذلك فحالهم في أن الحجة قائمة عليهم، كحالهم لو عرفوا تعذر المعارضة من قِبَلِهِم لو كانوا أهل الفصاحة" [١٦: جـ١٦، ص٢٩٥-٢٩٧].

ثم ذكرت د. عائشة بنت الشاطئ أن الباقلاني قد اضطرب موقفه من هذه القضية ونقلت عدة مقاطع من كلامه، ثم قالت:

"وأخشى أني أظلم القاضي الباقلاني[٢٩] بنقل فقرات من كلامه قد أراها تحدد موقفاً له من قضيتيّ الإعجاز والتحدي، فالحق أني ما أكاد أستبين له رأياً في فقرة أنقلها من كلامه، حتى يبدو لي في فقرة أخرى، تالية، غير ما فهمته من الفقرة قبلها.

وأحسبه ما تحير في موقفه إلا لأنه لم يفصل بين الإعجاز باقياً أبداً ملزماً للناس جميعاً على اختلاف العصور وامتداد الزمن، وبين التحدي للعرب المشركين في عصر المبعث، قد حسمه عجزهم عن أن يأتوا بمثله، وفيهم أمراء البيان ومن يظاهرهم من جنّ فيما زعموا.

وكان "عبدالقاهر الجرجاني" أجلى موقفاً وأوضح مسلكاً في بيانه لوجه اختصاص العرب في عصر المبعث بالتحدي، لا يعني اختصاصهم بالإعجاز، بل يعني أن ثبوت عجزهم عن الإتيان بمثله، قاطع الدلالة على عجز سواهم، ومن ثم يكون هذا العجز حاسماً لقضية التحدي، وأما الإعجاز فيبقى قائماً ما بقي الدهر.

---

(٢٩) انظر موقفه وكلامه من هذه القضية في كتابه: إعجاز القرآن، ص ٣٥ وما بعدها.

قال في مقدمة رسالته (الشافية): "معلوم أن سبيل الكلام سبيل ما يدخله التفاضل، وأن للتفاضل فيه غايات ينأى بعضها عن بعض، ومنازل يعلو بعضها بعضاً، وأن عِلْم ذلك علمٌ يخص أهله، وأن الأصل والقدوة فيه العرب –في لسانهم– ومن عداهم تبع لهم وقاصر فيه عنهم، وأنه لا يجوز أن يُدّعى للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي نزل فيه الوحي وكان فيه التحدي، أنهم زادوا على أولئك الأولين أو كملوا في علم البلاغة أو تعاطيها لما لم يكملوا له.

"هذا خالد بن صفوان يقول: كيف نجاريهم وإنما نحكيهم؟ أم كيف نسابقهم وإنما نجري على ما سبق إلينا من أعراقهم؟

"والأمر في ذلك أظهر من أن يخفى أو أن ينكره إلا جاهل أو معاند، وإذا ثبت أنهم الأصل والقدوة، فبنا أن ننظر في دلائل أحوالهم وأقوالهم حين تُلي عليهم القرآن وتُحدوا إليه وملئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله ومن التقريع بالعجز عنه، وبُتَّ الحكم بأنهم لا يستطيعونه ولا يقدرون عليه" [٢٧: ص١١٧].

ثم تختم د. بنت الشاطئ هذه المسألة مقررة ما سبق من أن الإعجاز باقٍ، والتحدي كان موجهاً لأهل العربية فتقول: "وما من شك في أن عجز البلغاء من العصر الأول، عن معارضة القرآن، وفيهم أصل الفصاحة، برهان قاطع في قضية التحدي، فحين نقول إنها حُسمت في عصر المبعث، فلا يمكن بحال ما أن يُحمل هذا القول على مظنة اختصاص إعجازه بعصر المبعث دون سائر الأعصار، وإنما معناه أن من هم أصل العربية، لغة القرآن، هم الذين يُفترض أن يواجهوا بالتحدي، لما يملكون من أسرار لغتهم التي نزل بها الكتاب العربي المبين. فاختصاصهم بالتحدي جاء من كونهم أهل الاختصاص بالعربية لغة القرآن، وقد حسمها عجزهم على أن يأتوا بسورة من مثله، والمعجزة "على الأيام

باقية وعلى الدهور والأزمان ثابتة" كما قال الإمام الطبري في مقدمة تفسيره"... [٤٢ : جـ١ ، ص٥].

المراجـــــع

[١] ابن زكريا، أحمد بن فارس. *معجم مقاييس اللغة*. مصر: مكتبة الخانجي، ١٤٠٢هـ.

[٢] ابن منظور. *لسان العرب*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ.

[٣] الأصبهاني، الراغب. *المفردات*. دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ.

[٤] القرطبي. *الجامع لحكام القرآن*. دار الكتب العلمية.

[٥] السيوطي، عبدالرحمن. *الإتقان في علوم القرآن*. دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.

[٦] البيجوري، إبراهيم. *تحفة المريد على جوهرة التوحيد*. القاهرة: نشر مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ١٣٧٤هـ.

[٧] مسلم، مصطفى. *مباحث في إعجاز القرآن*. جدة: دار المنارة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

[٨] الحمصي، نعيم. *فكرة إعجاز القرآن*. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ.

[٩] أبو موسى، محمد محمد. *الإعجاز البلاغي*. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٥هـ.

[١٠] بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن. *الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية*. القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٤هـ.

[١١] فقيهي، محمد حنيف. *نظرية إعجاز القرآن عند عبدالقاهر الجرجاني*. قطر: طبع الشؤون الدينية، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

[١٢] خليل، السيد أحمد. *دراسات في القرآن*، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٦م.

[١٣] مشهداني، عبدالكريم. *الإعجاز بالنظم وأثره في الدراسات القرآنية*. الرياض: دار الحديث الحسنية، ١٩٨٩م.

[١٤] ابن قتيبة. *تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة*. مصر: دار التراث، ١٣٩٣هـ.

[١٥] الضامن، حاتم صالح. *الإعجاز القرآني ونظرية النظم* بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في العراق، ١٤١٠هـ، بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المعقود في بغداد في الفترة من ٢١-٢٢ رمضان ١٤١٠هـ.

[١٦] الهمداني، عبدالجبار. *المغني في أبواب التوحيد والعدل*، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

[١٧] أبو زيد، أحمد. *مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن* الرباط: دار الأمان، ١٤٠٩هـ.

[١٨] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٠٢هـ.

[١٩] الجوزية، ابن القيم. *مختصر الصواعق المرسلة*، اختصره: محمد الموصلي، بيروت: دار الندوة الجديدة، ١٤٠٥هـ.

[٢٠] الباقلاني، أبي بكر. *الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به*، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

[٢١] عبدالقاهر، البغدادي. *أصول الدين* استانبول: نشر طبع مدرسة الإلهيات دار الفنون التركية، ١٣٤٦هـ.

[٢٢] الشهرستاني، محمد بن أحمد. *الملل والنحل*، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

[٢٣] السيوطي، عبدالرحمن. *معترك الأقران في إعجاز القرآن*، تحقيق: محمد علي البجادي، دار الفكر العربي.

[٢٤] الجاحظ. *حجج النبوة*.

[٢٥] الخطيب، عبدالكريم. *الإعجاز في دراسات السابقين* القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٤م.

[٢٦] الرافعي، مصطفى صادق. *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية* مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٥م.

[٢٧] الرماني، الخطابي، الجرجاني. *ثلاث رسائل في الإعجاز*، تحقيق: محمد زغلول سلام وآخرون. القاهرة: دار المعارف.

[٢٨] الطوير، حسن. '*جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني من القرن الخامس حتى القرن الثامن الهجري*' دمشق: دار قتيبة ، ٢٠٠١م.

[٢٩] أبو زيد، أحمد. *النظم اللغوي بين المعتزلة والأشاعرة*'.

[٣٠] مخلوف، عبدالرؤوف. *الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، دراسة تحليلية نقديه*'، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٧٨م.

[٣١] الجرجاني، عبدالقاهر. '*دلائل الإعجاز* '، تصحيح: محمد رشيد رضا، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

[٣٢] الجرجاني، عبدالقاهر. *الشافية* ' ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، مصر: دار المعارف، ١٣٨٧هـ.

[٣٣] اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى. *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*'، عمان: دار الفيحاء ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

[٣٤] الوراكلي، حسن. *القاضي عياض مفسرًا*'، الرباط: مكتبة المعارف، ١٤٠٤هـ.

[٣٥] الرازي، فخر الدين. '*نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز*'، تحقيق: بكري شيخ أمين، بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م.

[٣٦] القطان، مناع. '*مباحث في علوم القرآن* ' بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية.

[٣٧] السامرائي، فاضل فالح. *التعبير القرآني*' بغداد، ١٩٨٨م.

[٣٨] الشاطبي. *الموافقات*'، تعليق: د. محمد دراز، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.

[٣٩] بن بني، مالك. *الظاهرة القرآنية*'، ترجمة: د. عبدالصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢هـ.

[٤٠] السخاوي، علم الدين. '*جمال القراء وكمال الإقراء*'، تحقيق: د. علي البواب، مكة المكرمة: مكتبة التراث، ١٤٠٨هـ.

[٤١] أبو زهرة، محمد. *المعجزة الكبرى*' القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٩٠هـ.

[٤٢] الطبري. '*جامع البيان عن تأويل آي القرآن* '، تحقيق: د. عبدالله التركي، القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

مراجع مساعدة

[١] سلطان، منير. 'إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة'، الإسكندرية: منشأة المعارف.

[٢] الملاحويش، عمر. 'إعجاز القرآن وعلم المعاني'، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

[٣] دراز، محمد عبدالله. 'النبأ العظيم' الكويت: دار القلم، ١٣٩٧هـ.

[٤] السيوطي، جلال الدين. 'بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة'، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية.

[٥] لاشين، عبدالفتاح. 'بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار وأثره في الدراسات البلاغية' بيروت: دار الفكر العربي.

[٦] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. 'تاريخ بغداد'، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

[٧] أبو علي، محمد بركات حمدي. 'دراسات في الإعجاز البياني' الأردن: دار وائل، ٢٠٠٠م.

[٨] ابن أبي العز الحنفي. 'شرح العقيدة الطحاوية'، تحقيق: عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ.

[٩] الداوودي. ' طبقات المفسرين ' بيروت: دار الكتب العلمية.

[١٠] البغدادي، عبدالقاهر. 'الفرق بين الفِرَق'، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت: دار المعرفة.

[١١] البلخي، أبو القاسم، والقاضي عبدالجبار. 'فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة'، تحقيق: فؤاد سيد، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٣٩٣هـ-١٩٧٤م.

[١٢] الأشعري، علي بن إسماعيل. 'مقالات الإسلاميين'، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

[١٣] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. 'منهاج السنة'، تحقيق: محمد رشاد سالم، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

[١٤] «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ.

[١٥] عمار، أحمد سيد. 'نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم' دمشق: دار الفكر، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

[١٦] ابن خلكان. «وفيات الأعيان»، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الكتب العلمية.

[١٧] «بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني» المعقود في بغداد ٢١-٢٦ رمضان ١٤١٠هـ، العراق: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. فهرس الموضوعات

Perspectives on Quranic Miracles and Challenge

Easa Nasser Al-Duraiby
Dept. of Quranic Studies, Riyadh Teachers' College, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract. This study aims at identifying a term for Quranic Miracles (Eijaz) and its real aspect with which Allah challenged Arabs.

The study explores a definition for Quranic 'Miracles' and its criteria. It also traces the evolution and development of the notion of 'Eijaz', and briefly examines the effects of the dogmatic orientation on 'Eijaz' facets.

The paper concludes that Quranic Miracles with which Allah challenged Arabs to come up with a similar example are the rhetorical aspects of the Holy Quran including its organization style, oration, and meanings. The rest of the aspects which old and contemporary scholars mention are irrelevant to Quranic Miracles 'Eijaz' with which Allah challenged Arabs whom the Quran particularly addressed; as they are based on attesting that the Holy Quran is from Allah in view of the evidence that the Holy Quran talks about concrete facts and the unseen which Prophet Muhammed could not come up with